مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (4)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (4) 2017

البينذاتية في جدلية السيد والعبد عند هيغل

د. محمد فرحة*

بتول حكمت محمد**

(تاريخ الإيداع 12 / 6 / 2017. قبل للنشر في 22 / 8 / 2017)

□ ملخّص □

يناقش هذا البحث طبيعة البينذاتية في جدلية السيد والعبد لدى الفيلسوف الألماني هيغل، إذ تُعد البينذاتية من الموضوعات الفلسفية الهامة، والتي تحتل مكانة هامة في العلوم الإنسانية عامة كعلم النفس وعلم الاجتماع...إلخ. ورغم أن مصطلح البينذاتية يعد مصطلحاً معاصراً، إلا أن ما تضمنه هذا المصطلح ليس جديداً أبداً، حتى أنه يمكننا القول أننا نستطيع تتبعه مذ أطلق ديكارت عبارته المشهورة " أنا أفكر إذاً أنا موجود " ، لتكون بداية لجملة من التساؤلات والمعالجات والأبحاث الفلسفية التي أفرزتها فكرة الوعي الفردي و السقوط في الأنا وحدية.

وتتجلى أهمية هذا البحث في أنه دراسة فلسفية للبينذاتية ومفهومها ودلالاتها في فلسفة هيغل، بوصفها قانون أساسي لفهم طبيعة العلاقة بين الذوات، ودورها في عملية الوعي، وهذا ما بدى واضحاً جلياً عند الفيلسوف الألماني هيغل من خلال جدليته الشهيرة "السيد والعبد".

وتسعى هذه الدراسة إلى فهم طبيعة الغير لدى هيغل، وتبيان مستويات العلاقة بين الأنا والغير من خلال التركيز على دراسة جدلية السيد والعبد لديه، ودور البينذاتية في مفهوم الحرية، في محاولة لفهم المعنى الحقيقي للوعي انطلاقاً من الفلسفة الهيغلية.

الكلمات المفتاحية: البينذاتية– الوعي . السيد . العبد

* أستاذ مساعد ، الفلسفة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

** طالبة دراسات عليا (دكتوراه) في الفلسفة الغربية المعاصرة، جامعة تشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، اللاذقية، سورية

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (4)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (4) 2017

Intersubjectivity in dialectic master and slave of Hegel

Dr. Mohammad Farha*
Batol Mohammad**

(Received 12 / 6 / 2017. Accepted 22 / 8 / 2017)

□ ABSTRACT □

This paper discusses the nature of Intersubjectivity in the dialectic master and slave of the German philosopher Hegel. Intersubjectivity is an important philosophical subject; it occupies an important place in the humanities in general, such as psychology, sociology, etc. Although the term "Intersubjectivity" is a contemporary term, that is not new, so we can say that we will follow it from Descartes's famous phrase, "I think if I exist." To be the beginning of a range of questions and treatments and philosophical research, Singles and individualism.

The importance of this research is that it is a philosophical study of the structure, its concept and its implications in Hegel's philosophy, as a basic law for understanding the nature of the relationship between the selves and its role in the process of consciousness. This is evident in the German philosopher Hegel through his famous "master and slave" argument.

This study seeks to understand the nature of others in Hegel, and to show the levels of the relationship between the ego and the other by focusing on the study of the dialectic of the master and the slave, and the role of feminism in the concept of freedom in an attempt to understand the true meaning of consciousness from the philosophy of Hegelian**.**

Keywords: Intersubjectivity – consciousness – master - slave

* **Associate Professor, Department of Philosophy, Faculty of Arts, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
** **PhD student in contemporary Western philosophy, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدمة

مهدت فلسفة ديكارت لولادة الفلسفة الحديثة من خلال سعيه لتطوير قاعدة للتنوير العلمي الفلسفي مستعملاً عملية الشك عبر الكوجيتو المشهور والذي أرجع من خلاله التفكير للذات الفردية، وجعل منه دليلاً على الوجود، وهذا طبعاً فصل بين الذات والعالم الخارجي، وجعل من عملية التفكير داخلية لا يمكن نقلها بما يؤسس للذاتية الفردية. لقد أدت الذاتية التي أفرزتها فلسفة ديكارت في العصر الحديث إلى نشوء جملة من التساؤلات لدى الفلاسفة من بعده منها: هل التجربة الذاتية هي تجربة داخلية فردية وخاصة، أم أنها تجربة خارجية وعامة؟ هل هناك دور للآخر في نشوء وعينا؟ وإن كان كذلك، ما هو هذا الدور؟

كل هذا مثّل الأرضية لإعادة النظر بالنموذج الديكارتي الذي جعل الوعي ذاتياًوفردياً، ومهد لتجاوز هذا النموذج من خلال الاعتراف بضرورة وجود الغير، وقد لاقت هذه المسألة اهتمام العديد من الفلاسفة ومنهم الفيلسوف الألماني هيغل الذي بينّ في مؤلفه (فينومينولوجيا الروح) أن الروح في المرحلة الأولى تكون ذاتاً فردية واحدية، وهذا يجعل من الفردية مرحلة أولية لدى هيغل و يشبه الحالة بالمولود الجديد الذي لم يكتمل عوده وكذلك الذات التي لم تكتمل لديها المفاهيم الكلية، وليست الأساس وإنما عندما تصل الروح للمرحلة الثانية وتصبح قادرة على الوعي يختلف الأمر وتظهر العلاقة بين الذات والموضوع، وهذا طبعاً يؤدي لمستوى جديد للذاتية يتضمن وجود الغير.

وعليه فقد مثّلت العلاقة مع الغير لدى هيغل مرحلة هامة في فلسفته، وهذا يدفعنا لمحاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية: كيف تتبلور العلاقة بين الذات والموضوع لدى هيغل في جدلية السيد والعبد؟ وما هي أشكال الموضوع الممكنة لديه؟ وكيف تبدو علاقة السيد والعبد في فلسفته؟ وهل استطاع هيغل أن يحقق بفلسفته الانفتاح على العالم؟ وهل الانفتاح على العالم يتبلور بعلاقة مشاركة تنشأ بين السيد والعبد أم لا؟ وإن لم تكن كذلك فما هو شكل هذه العلاقة؟

أهمية البحث وأهدافه

تتبع أهمية البحث مما يأتي:

- عدم توفر الأبحاث والدراسات العربية حول موضوع البينذاتية في الفلسفة على حد علمنا.
- توجه الاهتمام الفلسفي في أوربا في السنوات الأخيرة إلى دراسة موضوع البينذاتية بوصفه أحد الموضوعات الفلسفية الهامة.
- الدور الهام لفلسفة هيغل في بناء نظريات الوعي والتي أثرت في الكثير من الفلسفات اللاحقة.
- أهمية جدلية السيد والعبد عند هيغل بوصفها صورة أساسية من صور البينذاتية والتي توضح طبيعة العلاقة من الغير.

أما أهداف هذا البحث فهي في توضيح فلسفة البينذاتية وتوضعاتها في جدلية السيد والعبد لدى هيغل، والتي تحدث عنها في فينومينولوجيا الروح، وتسليط الضوء على موضوع أسس لكثير من الموضوعات الفلسفية اللاحقة.

منهجية البحث:

تم استخدام المنهجين التاريخي والتحليلي، كونهما يتناسبان مع موضوع البحث، فتحليل النص ضمن الفترة الزمنية يساعدنا في الكشف عن أبعاد نص هيغل ومضامينه، بهدف التعرّف الى فلسفة البينذاتية في جدلية السيد والعبد لديه.

معنى البينذاتية عند هيغل: يعد مصطلح البينذاتية مصطلحاً معاصراً استخدمه الفيلسوف الألماني ادموند هسرل في التأمل الخامس من مؤلفه تأملات ديكارتية، ويشير هذا المصطلح إلى "**المبدأ الأساسي للفهم المشترك للتفاعل بين موضوعين: أنا والآخر، نحن والآخرين**"[1]، أي أنه يدل على آلية الانفتاح على العالم وإمكانية تكوين الوعي المشترك بين الذوات المختلفة، ورغم أن هذا المصطلح معاصر إلا أن دلالاته وجدت منذ ولادة الكوجيتو الديكارتي، والذي أسس كما سبق وأشرنا للاهتمام في دراسة إمكانية وعي الغير.

وقد كان هيغل من الفلاسفة الذين وجهوا جزءاً من اهتمامهم الفلسفي لدراسة طبيعة العلاقة مع الغير ومكوناتها ومستوياتها، وتبلور هذا الاهتمام من جدليته المشهورة (السيد والعبد) والتي مثلت جوهر حديثه عن مرحلة الوعي الذاتي في محاولة منه لبناء نموذج للبينذاتية، إذ تؤلف هذه الجدلية مناقشة هيغل للوعي الذاتي بهدف تحقيق المعرفة المطلقة.

ولذلك يمكننا القول: إن البينذاتية في جدلية السيد والعبد لدى هيغل تشير إلى طبيعة العلاقة بين كل منهما، وهي صورة من صور الانفتاح على الآخر، من خلال قدرة العبد على تجاوز عبوديته المفروضة، الذي يتطور وفق تسلسل يمر بثلاث مراحل كما يشير وولتر ستيس هي: "**1- الرغبة من حيث هو في علاقة مع أشياء أخرى. 2- العلاقة الوساطية بين السيد والعبد من حيث هو ينتسب إلى وعي ذات آخر غير متماثل معه. 3- وعي الذات العام الذي يتعرف على ذاته في وعي – ذات أخرى**"، ولكن هذا يجب أن لا يجعلنا نغفل عن أن هيغل يبدأ قبل كل شيء من الذات ويقول صراحة: "**أن الحق يدرك ويقال لا كجوهر بل كذلك كذات**".

وعليه يبدو هاماً أن نحاول الإجابة عن التساؤلات الآتية: كيف تتبلور البينذاتية في فلسفة هيغل؟ وما هي طبيعة العلاقة التي تجمع بين السيد والعبد؟ وهل يستطيع العبد بلحظة ما أن يستقل ويحقق وعيه الذاتي؟ وهل يمكن بناء انفتاح على العالم أساسه المشاركة وفقاً لهيغل أم لا؟

ولكي نستطيع التحدث عن مستويات البينذاتية في جدلية السيد والعبد لدى هيغل ونجيب عن التساؤلات السابقة علينا في البداية أن نسلط الضوء على الكيفية التي يتطور فيها الوعي ليصل إلى الوعي الذاتي الذي يؤسس حقيقة للبينذاتية ومستوياتها.

تطور الوعي في فينومينولوجيا هيغل:

يتطور الوعي في فينومينولوجيا هيغل بعد تخلصه من مرحلة النفس أو الروح التي كان موقفها واحدياً فردياً "**يحتوي بداخله على وجوده كله: جميع احساساته، وانطباعاته، ومشاعره، على نحو ذاتي خالص، فلا يوجد أمام الذات عالم من الموضوعات أو الأشياء**" ، إذ تكتشف الذات بأنها ليست الموضوع فلا أحد سواها في العالم، و"**الوعي إنما هو أنا، ولا شيء غير ذلك، إنه محض هذا**"ولكن هذه الروح (الذات) لا تبقى على حالها في فرديتها وانعزالها وإنما تبدأ بمرحلة الوعي.

وهنا تماماً تبدأ البينذاتية بالظهور في مستواها الأول من خلال الوعي الذي يتكون لدى الذات للأشياء بوصفها غيراً، وموضوعات مختلفة عنها وتتغير إذ أنه في هذه المرحلة يظهر الموضوع للذات بوصفه متغيراً وتبدو الذات غير قابلة للتغير"**فالناجم ليس بالنسبة إلى الوعي إلا كموضوع، أما بالنسبة إلينا فيكون في ذات الحين كحركة وصيرورة**" وتظهر البينذاتية بوصفها علاقة بين الذات والموضوع، ويتحول الموضوع كما يسميه هيغل إلى (الـ هنا) فهو يقول: "**الهنا هو على سبيل المثال الشجرة، فإذا تلفتَ زالت هذه الحقيقة، وانقلبت إلى الحقيقة المضادة: الهنا ليس الشجرة، بل هو بالأحرى البيت. أما الهنا نفسه فلا يزول؛ بل هو باقٍ في زوال الشجرة والبيت وما إليه**" وهذا دليل واضح على اعتبار هيغل بأن ما يتغير هي تلك الموضوعات الماثلة أمام الوعي ولكنها مع ذلك تبقى موضوعاتي التي كانت في مجال وعيي فهي الهنا، فالوعي[1] عند هيغل في هذه المرحلة لا يضمن وجوده المستقل في التجربة، لأن هناك موضوعات جديدة دائماً أمامي.

هنا تماماً يبدأ الوعي الأصلي بالتشكل عبر مراحل ثلاث هي: "**الوعي الحسي، الإدراك الحسي، الفهم**"، ففي مرحلة الوعي الحسي وينبغي "**لهذا الروح الذي في – الحال أن يجاهد في اتباع سبيل طويلة و متوعرة ويشتغل عليها حتى حتى يصير معرفة بحق**"ولذلك تكون العلاقة مباشرة بين الذات والموضوع، "**ومباشرة العلاقة بين الذات والموضوع فهي تعني أن الموضوع يوجد مباشرة أمام الوعي، أعني أنه يدرك إدراكاً مباشراً على أنه هناك**"، أما في مرحلة الإدراك الحسي فإن الوعي يدرك الموضوعات في توضعها ضمن الفئة"**فالحركة إنما هي انبساط اللحظات وتباينها، وأما الموضوع فهو كون عين اللحظات تحصل مجمعة، والكلي بما هو مبدأ إنما هو بالنسبة إلينا أو في ذاته الماهية التي للإدراك الحسي**"، وهذا يعني أنه في مرحلة الإدراك الحسي يبدأ الوعي بتعرف تواجد الموضوعات ضمن الفئة الخاصة بكل منها"**فهذا الملح هو هنا بسيط، وهو في الوقت ذاته متكثر الوجوه؛ فهو أبيض، وهو أيضاً ذو طعم قاطع، وهو أيضاً ذو شكل مكعب، وهو أيضاً ذو وزن محدد...**"، ورغم الصفات السابقة إلا أن الملح يبقى كذلك وهو ضمن فئة معينة تتصف بجملة من الصفات التي تميزها عن باقي الفئات.

هنا يصل الوعي للمرحلة الثالثة وهي الفهم الذي يسهم في إدراك أن الموضوع هو واحد وكثير في الوقت ذاته وطبعاً هذا يشير إلى وجود ارتباط بين الكلي والجزئي "**فالكلي إنما يكون في حد ذاته في وحدة لا تنفصم مع هذه الكثرة**"، إذ أن هناك ارتباط بين الذات الإنسانية وبين تعينات هذه الذوات بشكل أو بآخر، وهناك ارتباط بين المعدن بوصفه كلية وبين أنواع المعادن المختلفة بوصفها جزئيات، وهذا يجعل من القانون أو المثال مرتبطاً بجزئياته. هنا يناقش هيغل كيف أن الحل الميتافيزيقي الذي يجعل من الواحد والكثير منفصلين في عالمين مختلفين لا يؤدي لنتيجة حقيقة وإنما هو وهم "**لأن الواحد أو الكلي إذا كان خالياً هكذا من كل مضمون جزئي فهو فراغ محض**".

الوعي الذاتي ومستويات البينذاتية في جدلية السيد والعبد:

كل ما سبق يمهد للوصول إلى الوعي الذاتي الذي يتطور من خلال مراحل ثلاث هي "**(1) الميل الفطري أو الرغبة (2) الوعي الذاتي أو المعرفي (3) الوعي الذاتي الكلي**"[1]. ففي المرحلة الأولى يدرك الوعي أن الموضوع "**هو ذاته، لكن الموضوع يظل مع ذلك موضوعاً خارجياً أي جزءاً من العالم الخارجي أي فيزيقياً**"، هنا يبدو الموضوع بالنسبة للوعي متضمناً السلب والإيجاب، والوعي لا ينتقل للمرحلة التالية إلا إذا جعل من الموضوع تابعاً له وألغى استقلاليته، ولذلك يذكر هيغل الطعام كمثال عن عملية التدمير أو الغاء موضوعات التجربة واستقلاليتها، فالطعام قبل أن أقوم بتناوله هو موضوع مستقل، ولكنني عندما أرغب فيه وأتناوله فإنني أخضعه للتدمير وأسلب استقلاليته، ويشير هذا الأمر إلى أن "**هذه المرحلة من الوعي الذاتي تشمل موضوعاً يصبح مرغوباً ... ويسعى الوعي الذاتي لإنهاء عملية التدمير، لأن الذات ستكون مستقلة أو مكتفية ذاتياً، هنا وعند هذه النقطة لا يزال الوعي الذاتي غير متأكد من وجود الذات المستقل وليس بعد راضٍ عنه**".

هنا وفي هذه المرحلة تماماً تبدأ جدلية السيد والعبد بالتبلور لتظهر مستويات البينذاتية لدى هيغل من خلال طبيعة العلاقة التي تجمع بينهما والتي تبدو في هذه المرحلة مبنيّة على أساس صراع ينشأ بين الذات التي تحاول أن تحقق استقلالها من خلال تدمير استقلال الموضوعات الأخرى، وهنا تكمن الإشكالية، إذ أن الذات إن استطاعت تدمير الموضوعات المختلفة عنها إلا أن ذلك يبدو صعباً مع الذوات الأخرى لأن كل ذات تعتبر أنها تستحق الاستقلال، وترغب بتدمير بالموضوعات الأخرى "**وبالتالي تحاول كل منهما أن تدمر الأخرى حتى تحتفظ لنفسها بالشعور بأنها الحقيقة الواقعية كلها، ويؤدي ذلك إلى صراع بين الموت والحياة**"، هنا تجد الذات الحل المناسب لتدمير استقلالية الذات الأخرى من خلال جعلها تعتمد عليها بالكامل، فتلغى استقلاليتها من خلال تبعيتها الكلية لها.

إذاً تبدو علاقة السيد والعبد والتي ظهرت بأقوى صورها تاريخياً في نظام الرق "**حيث نجد السيد هو وحده صاحب الوجود المستقل بينما يهبط العبد إلى مستوى الشيء**"ولكن هذه الصورة للعلاقة بين السيد والعبد لا تلبث أن تتغير، إذ يبدأ السيد بخسارة وجوده المستقل على حد تعبير هيغل: "**فالرئيس هو الوعي الكائن لذاته، لكنه ما عاد يمثل مجرد المفهوم الذي لعين الوعي، بل أضحى وعياً كائناً لذاته يتوسط صلته بذاته وعيٌ مغاير**"، وهنا تبدأ العلاقة بين السيد والعبد (الرئيس والخادم) تظهر بمظهر جديد فمن خلاله ."**الوعي الذاتي يحقق الرضا في وعي ذاتي آخر**"[1]، ويقول هيغل في ذلك: "**الوعي – بالذات إنما لا يبلغ راحته إلا في وعي – بالذات مغاير**"وفي هذه المرحلة لا ترى الذات الموضوع غريباً عنها كما في المرحلة الأولى إنما يبدو الوعي هو "**وعياً بالذات أو هو الوعي الذاتي**".

كل ما سبق يؤسس للوعي الكلي والذي يؤدي لنتيجتين يحددهما هيغل وفق الآتي:

الأولى: هي في أن السيد لكي يحقق استقلاله كوعي ذاتي فإنه يعتمد اعتماداً كلياً على العبد، وهذا يؤدي لتناقض كبير"**لأنه لا يصبح مستقلاً إلاّ عن طريق إلغاء استقلال الذات الأخرى فحسب. ولهذا فإن هذا الاستقلال يناقض نفسه، ويتحول إلى اعتماد على الآخر**"مما يعني أن السيد وأثناء محاولته تغييب وجود الآخر ونبذ استقلاليته وإلغائها فإنه يحول الآخر إلى تركيبة تلبي كل متطلباته بشكل يجعله مع الوقت مضطراً للاعتماد عليه كلياً، وهذا ما يفضي إلى النتيجة الثانية، فهذين الوعيين – بالذات "**يمتحنان نفسيهما، فيمتحن كل منهما الآخر، عبر الصراع من أجل الحياة والموت**".

تشير النتيجة الثانية إلى أن العبد عندما يصبح مسؤولاً عن تلبية متطلبات السيد كلها، فإنه يطور وعيه تدريجياً ليصل إلى استقلاليته ووعيه الذاتي، فـ "العبد عن طريق العمل والشغل يصل إلى الاستقلال، أي إلى الوعي الذاتي"، وهنا تماماً يضطر السيد للاعتراف بالعبد بهدف الابقاء على استقلاليته إذ "**تنعكس الذات في الآخر و الآخر ينعكس في الذات، وهذا يتطلب الاعتراف بالآخر لإنجازه**"[ ]وعندما يضطر السيد في هذه المرحلة بالاعتراف باستقلالية العبد فإنه بذلك يقبله وعياً ذاتياً آخر و العبد أيضاً يعرِّف نفسه على أنه وعي ذاتي "**فالذات والآخر وبشكل دائم يوجدان في علاقة الاستقلالية، الرغبة، والسيطرة**"[ ] والتي تكتسب معناها من خلال الاعتراف.

هنا تماماً يعترف كل منهما بالآخر وتتحول العلاقة من كونها سيطرة لأحد الطرفين على الآخر إلى اعتراف حقيقي فالذات هنا "**تعترف بالذوات الأخرى بوصفها وجوداً واعياً ذاتياً**"، وهذا طبعاً يؤسس لما يسميه هيغل العقل، وهو بالنسبة إليه موقف يحدد طبيعة العلاقة بين الذوات، إذ تصبح الذات الأخرى موضوعاً بالنسبة إلى الذات ولكن هذا الموضوع من ناحية أخرى مستقل لأنه وعي ذاتي "، **والعقل يجمع بين هذين الموقفين المجردين في مركب واحد، فالموضوع الآن متمايز عن الذات ومتحد معها في وقت واحد. إنه الهوية في التباين**".

كل ما سبق يؤكد على حقيقة هامة يؤكدها هيغل بقوله: "**وعليه فإن حقيقة الوعي القائم بذاته إنما هي الوعي الخادم**". ولذلك يعد الوصول إلى هذه المرحلة تأسيساً لإدراك الذات أنها هي الموجودة، وأن أي تمييز يكون من خلال الذات، وهذا يؤدي وفقاً لهيغل إلى مرحلة الذهن بمراحله الثلاث النظري والعملي والحر، والتي تؤسس بعد ذلك للروح الموضوعي.

وعندما تصل الروح إلى مرحلة الروح الموضوعي تكون بذلك قد تخلصت من ذاتيتها واستطاعت أن توجد "**نفسها في العالم الخارجي**"وتظهر الروح الموضوعي حسب هيغل في التنظيمات الاجتماعية كافة، وهنا تكمن النقطة التي تعرض هيغل من خلالها للانتقاد، فهو لا يعني بعالم الخارج عالم الطبيعة، وإنما يعني "**العالم الذي تخلقه الروح لذاتها لكي تصبح موضوعية أعني لكي توجد وتؤثر في العالم الفعلي**".

هنا لا بد أن نشير إلى أن هيغل ينطلق في حديثه عن هذه المراحل من منهجه الأساسي الذي ينطلق من فكرة أن أقسام المنطق تمثل جملة من الخصائص هي دائرة الوجود وتمثل دائرة المباشر، ودائرة الماهية وتمثل دائرة التوسط، ودائرة الفكرة الشاملة وتمثل المركب منهما[ ].

ويحاول هيغل من خلال منهجه هذا أن يوضح العلاقة بين دائرة الوجود ودائرة الماهية من خلال تبيانه أننا لا نستطيع أن "**نصل إلى الماهية إلا من خلال الآخر أي: من خلال الوجود**"[ ] وهذا لا يعني أبداً أن الوجود عند هيغل يسبق الماهية على حد تعبير سارتر الذي يقول: " **فالوجود يرده هيغل إلى معنى الموجود. فالوجود تشمله الماهية، التي هي أساسه وأصله**"[ ].

هنا يجدر بنا الإشارة إلى أن هيغل لانتقادات عدة في معالجته للبينذاتية ومنها انتقاد سارتر الذي اعتبر أنه وبالرغم من تحدثه عن (الوجود – من أجل – ذاته)و(الوجود – من أجل الغير) ولكنه لم يستطع أن يتحرر من مثاليته فهو "**يخطئ بتفاؤله الخاص بنظرية المعرفة. إذ يبدو له أن حقيقة الشعور بالذات يمكن أن تظهر، أي من الممكن تحقيق اتفاق موضوعي تحت اسم الاعتراف بالذات بواسطة الغير، والاعتراف بالغير بواسطة الذات**".

وعموماً يبدو الوجود في ذاته لدى هيغل **أو** كما يسميه هيغل الوجود بالذات، مقولة فرعية تقابل الوجود للآخر، وهو تعين يتضمن السلب والإيجاب، فالوجود في ذاته يظهر إذا نظرنا للجانب الإيجابي للشيء "**هو وجود الشيء كما هو موجود في ذاته وبمعزل عن الأشياء الأخرى**"[ ]،أما الوجود لذاته أو الوجود للذات فهو يحوي جميع مقولات الكيف[ ] التي يتحدث عنها هيغل، ويختفي فيه الآخروهو عنده "**الانعكاس إلى الذات**"[ ]ولذلك يمكن أن يرتبط هذا الوجود بالوعي.

من جانب آخر يميل بول ريكور لاعتبار أن هيغل ورغم تفوقه الكبير في منهجه المبني على استراتيجية التناقضات المنتجة، إلا أنه لم يوفق في بناء البينذاتية لأنه سقط في مثاليته التي اعتمدت على اعتبار الكيانات الجماعية حقائق مطلقة، وهذا يضفي على تلك الكيانات صفة القدسية والذي قد يؤدي لاستبدادها وتقبل هذا الاستبداد.

وعموماً نحن نميل لاعتبار أن هيغل حقق نقلة نوعية في مجال الإجابة عن التساؤلات المتعلقة بطبيعة العلاقة مع الآخر، وأن جدلية السيد والعبد ساهمت وبشكل واضح في توضيح حقيقة أن الذات يمكنها الحصول على استقلالها فيما إذا استطاعت أن تؤسس للاعتراف بالآخر عبر علاقة تمر بمرحلة صراع يحاول فيها الأقوى أن يسيطر ويلغي استقلال الأضعف (العبد) ولكنه يبدأ بفقدان قدرته على امتلاك الوعي الذاتي لوحده عندما يزداد اعتماده واتكاله على العبد، وهذا طبعا يحرر العبد ويجعله واعياً بذاته لأنه امتلك الفكر.

هنا تماماً يبدو لنا أن هيغل استطاع أن يؤسس لإمكانية حصول الإنسان على حريته من خلال صقل معارفة وسعيه لتطوير ذاته، وهذا يحول حالة الصراع المفترضة إلى حالة قبول للآخر واعتراف به.

خلاصة:

لقد استطاع الفيلسوف الألماني هيغل على الكثير من الفلسفات اللاحقة عليه، إذ يعد المنهج الجدلي الذي أبدعه هيغل قفزة نوعية في تاريخ الفكر الفلسفي، والمنهج الجدلي "**منهج يسير على إيقاع ثلاثي، أو أنه سلسلة طويلة من المثلثات التي تسير من تلقاء ذاتها سيراً ضرورياً، وأن الحد الأول في أي مثلث يكون دائماً مباشراً، والحد الثاني متوسطاً، والحد الثالث هو جمع وتأليف بينهما**"[1].

ويبين كوجييف أن هيغل يناقش وجود الإنسان فينومينولوجيا وميتافيزيقياً وانطولوجيا فـ "**على المستوى الفينومينولوجي، فإن فلسفة هيغل تصف وجود الإنسان الذي يحيا في العالم، حيث يعي كونه فرداً حراً وتاريخياً، أما على المستوى الميتافيزيقي، فإن هذه الفلسفة تقول لنا ما يلزم أن يكونه العالم أو الإنسان في حالة قدرته على الظهور كذلك، وأخيراً فإن الأمر يتعلق على المستوى الانطولوجي، برؤيته ما يلزم أن يكونه الكائن ذاته أو الإنسان في حالة قدرته على الظهور**".

ولقد حاول هيغل أن يبين طبيعة العلاقة بين الذوات المختلفة من خلال مراحل حدد فيها مستويات البينذاتية والتي تؤسس للانفتاح على العالم، مستخدماً حدثاً تاريخياً هاماً هو سيطرة الرق التي جعلت من الأقوى سيداً ومن الأضعف عبداً، ولكن هذه الحالة لم تكن دائمة لأن العبد استطاع أن يتحرر ويصل لوعيه الذاتي عبر مراحل تطوره وعندما تحول من مجرد تابع إلى ذات أخرى مقابلة قادرة على استكشاف ذاتها والذات الأخرى المقابلة لها.

ولكن رغم أن هيغل استطاع أن يبني نظرية في البينذاتية أساسها الحرية إلا أنه لم يستطع أن يؤسس لتعينات هذه النظرية وتموضعها في العالم المعاش.

المصادر والمراجع:

1. هيغل، فينومينولوجيا الروح، ترجمة د. ناجي العونلي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2006.

2. ستيس، وولتر: هيغل (فينومينولوجيا الروح)، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير، بيروت، 2005.

3. ريكور، بول، من النص إلى الفعل، ترجمة أحمد برادة و حسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الاسكندرية 2001م، ص235-236.

4. عبد الفتاح إمام، إمام، المنهج الجدلي عند هيغل، دار التنوير، بيروت، 2007، ص.24

5. سارتر، جان بول، الوجود والعدم، ترجمة تيسير شيخ الأرض، دار الآداب، بيروت، 1966م.

6. كوجيف، الاسس الفلسفية لنهاية التاريخ، ترجمة عبد العزيز بومسهولي، مجلة أوراق فلسفية، العدد الثامن عشر، مصر 2008م، ص.79

7-HUDSON, STEPHEN ،Intersubjectivity Of Mutaul Recognition And The I-Thou: A Comparative

References:

[1] Farha, Mohammad. *The critique of Realism east and west Vaishesika and Husserl,* university of Delhi, Delhi, 2005.

[2] Farha, Mohammad. Objectivity from a Phenomenological Point of View: An Analytical Study, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (3) 2014.

[3] Farha, Mohammad. The Phenomenological Concept of Husserl's Theory of Intentionality, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (31) No. (1) 2009.

[4] Farha, Mohammad. George Santyana's Materialism, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (6) 2014.

[5] Farha, Mohammad. The Ontology: Origin, Development and Maturity, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (32) No. (4) 2010.

[6] Farha, Mohammad, Batol, Mohammad. The Ontology: Origin, Development and Maturity, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (5) 2015.

[7] Farha, Mohammad, Batol, Mohammad. Inter subjectivity and It's Importance of Merleau-Ponty, Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (3) 2017.